الأستاذة: منال روابح

مقياس: الأدب القديم والنقد الجديد

المحاضرة موجهة لطلبة سنة أولى ماستر- تخصص: الأدب القديم

المحاضرة السابعة: المنهج البنيوي

1- في مفهوم المنهج:

- **المنهج لغويا:** هو الطريق والسبيل والوسيلة التي يتدرج بها للوصول إلى هدف معين.
- **اصطلاحًا** : ارتبط بتيارين:

1- **المنطق:** يستند إلى الوسائل والإجراءات العقلية للوصول إلى نتائج معينة.

2- **حركة التيار العلمي**: ارتبط بهذا التيار العلمي في عصر النهضة مولدًا مالا يسمى بالمنهج التجريبي لكن دون التخلي عن المنهج الأول، وإنما صار هناك تعايش بين المفهومين.
أما في العصر الحديث فقد أخد المنهج النقدي مفهومان:

مفهوم عام: ارتبط بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها (فكرة ديكارت : الشك للوصول إلى اليقين) ...

مفهوم خاص: تعلق بالدراسة الأدبية، ويتطرق لمعالجة القضايا الأدبية، والنظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله وتحليلها.

- **" النظرية – المنهج – المصطلح"** : نظرية متكاملة فكل منهج لابد له من نظرية في الأدب، والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافق النظرية مع مبادئها
- بداية من العصر الحديث نلاحظ تراجع فكرة المذهبية لتحل محلها المنهجية وارتبطت بالنزعة التكذيبية أي قابلية العلم للتعديل
- تجسيد الشكل النقدي الكلي للمناهج النقدية في منظومتين: الأولى التاريخية بتجلياتها المتعددة، والثانية البنيوية وما بعدها.

2- المنهج البنيوي/ الجذور:

لم ينبثق المنهج البنيوي في الفكر الأدبي والنقدي وفي الدراسات الإنسانية فجأة إنما كانت له إرهاصات عديدة نشأت وتطورت مع النصف الأول من القرن العشرون في مجموعة من المدارس والاتجاهات المتعددة .

كان حقل الدراسات اللغوية أول من نشأ على وجه التحديد، وكان يمثل طليعة الفكر البنيوي وإن لم تستخدم فيه المصطلحات البنيوية منذ البداية.

نشأت البنيوية في فرنسا عندما ترجم تودوروف أعمال الشكلانيين الروس (التي دعت إلى الاهتمام بالعلاقات الداخلية للنص الأدبي، واعتبرت الأدب نظامًا ألسنيا ذا وسائط إشارية "سيميولوجية" وليس انعكاسًا للواقع، واستبعدت علاقة الأدب بالأفكار والفلسفة والمجتمع)، فركزت كل مفاهيمها على دراسة الشكل والأدب ودلالاته، فكانت قريبة إلى مفهوم البنية في تحليلها.

كان للعالم اللغوي " رومان جكبسون" تأثير كبير في البنيوية اللغوية من خلال بلورته للكثير من الأفكار المرتبطة بها.

كما كان للنقد الجديد الذي ظهر في أمريكا كمصدر ثاني تقارب كبير مع مبادئ البنيوية، حيث يرتكز على المبادئ اللغوية، وعلى دراسة النص في حد ذاته بعيدًا عن العوامل المحيطة به.

كان تحليل النص الشعري " **سونيت القطط" لبولدير** من قبل العالمين **جاكبسون وشتراوس** بمثابة الإعلان عن مولد المنهج البنيوي في النقد العالمي الحديث.

المصدر الثالث هو أفكار العالم الشهير **"دي سوسير"** والتي كانت المنطلق الأهم لهذه التوجهات، ودروسه هي البداية المنهجية للفكر البنيوي في اللغة.

إنطلق من مجموعة من الثنائيات المتقابلة التي يمكن عن طريقها وصف الأنظمة اللغوية، تأتي في مقدمة هذه الثنائيات **" ثنائية اللغة والكلام"**.

ميز دي سوسير بين مجموعة القواعد والمبادئ المتصلة بلغة ما والتي تعمل في ذهن الجماعة وتمثل النموذج المرجعي متمثلة في :

"**اللغــة**"، وبين الممارســات الفعليــة الــتي تــبرز في أداء الأفــراد وحديثهم اليومي وهي: " **الكلام**".

- الكلام عمل فردي واللغة نموذج جماعي.
- الثنائيـة الثانيـة: التميـيز بين المحـور التـاريخي ، والمحـور التزامـني الوصفي، فالمحور التاريخي التطوري يركز على دراسة الظواهر في مسـارها وسـيرورتها في الـزمن وتحولاتهـا، أمـا المحـور التزامـني الوصفي فيعنى بتحليل نظام الظواهر في لحظة زمنية معينة.
- هنـاك ثنائيـات أخـرى أبرزهـا دي سوسـير وكـان لهـا أثـر في الفكـر والأدب واللغــة والإنســانيات؛ وهي التميـيز بين علم اللغــة الــداخلي وعلم اللغة الخارجي، فعلم اللغة الداخلي مرتبط بالقوانين المنبثقــة من اللغة ذاتها، أما علم اللغة الخارجي فمرتبط بالعلاقات والظروف والبيئات والأوضاع الخارجية .
- دي سوسير جرد اللغة من دلالاتها الإشـارية المألوفـة وعـدها نظامًـا من الرموز يقوم على علاقات ثنائية، ومن هنا ظهرت فكرة "البنية".
- أقــر دي سوسـير بمبـدأ " **اعتباطية الرمــز اللغــوي**" : أشـكال التواصل الاجتمـاعي هـو أنظمـة تتكـون من مجموعـة من العلاقـات التعسفية، وكل نظام يعتمد على مبدأ اعتباطية الرمز وتعسفه، ومن هنــا انبثقت فكــرة الســيميولوجيا (علم الدلالــة) أو العلامــة أو الإيحاء.... وتطورت فيما بعد.

3- **المنهج البنيوي : المفهوم – الإجراءات:**

يمكن أن نختصر مفهوم البنيوية في قول ميشـيل بـريكس : " أمـا المنهجية البنيوية الشكلانية فتهتم فقط بالنسيج اللغوي للنص، وتدرسـه بذاته ولذاته مهملة صاحبه ومؤلفه"

يعرف جميل حمداوي البنيوية أيضًا : " البنيوية طريقة وصـفية في قـراءة النص الأدبي تسـتند إلى خطـوتين أساسـيتين همـا : التفكيـك والــتركيب، لا تهتم بالمضــمون المباشــر وإنمــا بشــكل المضــمون وعناصره".

البنيوية منهج ونشاط وقراءة وتصور فلسفي يقصي الخارج والتــاريخ والإنسان وكل ما هو مرجعي وواقعي، ويركز فقط على مـا هـو لغـوي، يسـتقرئ الـدوال الداخليـة للنص دون الاهتمـام بالسـياقات الخارجيـة ،

ويتعـــارض مـــع المنـــاهج الخارجيـــة كـــالمنهج التـــاريخي والنفســـي والاجتماعي...، والمنهج البنيوي التكويني...

- تقوم البنيوية على إعادة إنتاج الواقع من خلال إقامة الأنمـوذج الـذي يحدده المحلل نفسه.
- تهدف البنيوية إلى الوصـول إلى محاولـة فهم المسـتويات المتعـددة للأعمال الأدبية (مستوى لغوي – مستوى دلالي - مسـتوى صـوتي – مستوى تركيبي -...)ودراسة علاقاتها وترابطهـا، والعناصـر المهيمنـة على غيرهـا وكيفيـة تولـدها ثم كيفيـة أدائهـا لوظائفهـا الجماليـة والشعرية على وجه الخصوص.
- تكون الأعمال الأدبية في البنيوية كـإجراء تطـبيقي عبـارة عن أبنيـة كلية، فالقصيدة مثلاً تتكون من عدة مسـتويات لا من أبيـات، البنيـة الدلالية للقصيدة الشعرية هي محصلة لمجموعـة من البـنى " البنيـة الإيقاعيـة – التركيبيـة – التصـويرية- التحليليـة – الرمزيـة..." ، هـذه البنى ماثلة في كل بيت وترتيبها يسير على نسق داخلي عميق.
- كذلك في السرديات نجدها تتكـون من أبنيـة لا فصـول تتمثـل في: - بنية الأصوات ، بنية الزمان، بنية الخطاب السردي (مستويات اللغـة من سرد ، حوار ...)
- لا تتراكب البنية الكلية إلا من تراكب وتـداخل وتضـافر وتـراتب هـذه البنية الجزئية.
- البنيويـة إذن نظـام رمـزي دلالي يقـوم على مجموعـة من العلاقـات المتبادلة بين البنى الجزئية وعلى العناصر المهيمنـة على غيرهـا في العمل الأدبي.

4- مبادي البنيوية:

تأسست البنيوية في النقد الأدبي انطلاقًا من مجموعـة من المبـادئ أهمها:

- الاستغناء عن دور المحور التـاريخي في الدراسـات الأدبيـة فالتـاريخ فلسفة والأدب لا يكون أدبًا بما فيه من فلسفة.
- العنصر الجوهري في العمـل الأدبي عنـد البـنيوين لايرتبـط بالجـانب الخارجي (مؤلـف- سـياق نفسـي- مجتمـع- تـاريخ...)، وإنمـا يرتبـط بمبدأ يسمونه " أدبية الأدب"؛ أي تلك العناصر التي تجعل الأدب أدبًا،

والـتي جعلت قيمـة الأعمـال الأدبيـة في طليعتهـا الشـعرية لا في سياقاتها التاريخية أو النفسية أو الاجتماعية ..

إذن فالمبـدأ الرئيسـي في البنيويـة هـو " أدبيـة الأدب" ، يقـول جاكبسون: "ليس موضوع علم الأدب هو الأدب؛ وإنما هي الأدبية أي مـا يجعل من عمل ما عملاً أدبيًا"، ويدعم هذا الـرأي تـودوروف حيث يـرى أن العمل الأدبي ليس هو موضوع الشعرية في حد ذاته، وإنما خصائص هذا الخطاب، أي الخصائص المجردة التي تميز الحدث الأدبي.

ثم نظرية "مـوت المؤلـف" عنـد البـنيويين : يعتـبر دور الؤلـف عنـد البـنيوين كمجـرد مسـتخدم للغـة ، وأن لا دور لـه في النص، والتركـيز الأهم هو على اللغة وكيفية عملها ودلالاتها.

- ارتبطت بالنظرية الشاملة لجاكبسون التي حـدد من خلالهـا وظـائف اللغة وفقا لمنظومته (مرسل – مرسل إليه – رسـالة ...)، فوظيفـة اللغـة عنـده في قيمتهـا الشـعرية، ومن هـذا المنطلـق دعى النقـاد البنيويون إلى الوظيفية الشعرية والتي تقابل أدبية الأدب.
- مفهوم الأدب هو العالم، وموضوع النقد هو الأدب.
- تغيرت فكرة النقد عند البنيوين حيث أصبحت مهمة الناقد اختيار لغة الكتابة الأدبية ومدى تماسكها وتنظيمها المنطقي وقوتهـا أو ضـعفها، وليس الاهتمام بمدى مصداقية الكاتب بالنسبة لعلاقته مع المجتمع.
- نظرية الأدب تغيرت ابتـداء من البنيويـة ولم تعـد نظريـة الحيـاة بـل نظريــة في ظــواهر الإبــداع الأدبي من منظورهــا اللغــوي والفــني والجمالي.

5- البنيوية في العالم العربي:

لم تظهر البنيوية في الساحة الثقافية العربية إلا في أواخر الستنيات وبداية السبعينيات عبر المثاقفة والترجمة والتبادل الثقـافي والتعلم في جامعات أروبا.

كانت بداية تمظهر البنيوية في عالمنا العربي في شكل كتب مترجمـة مؤلفات تعريفية للبنيوية (صلاح فضـل – ميشـال زكريـا- تمـام حسـن- كمـال أبـو ديب....) ، لتصـبح بعـد ذلـك منهجيـة تطبـق في الدراسـات النقدية والرسائل والأطاريح الجامعية.

كما كانت دول المغرب ولبنان وسـوريا هي السـباقة، لتلحـق مصـر والخليج بعد ذلك.

ومن أهم البنيويين في مجال النقد بكل أنواعه (عبد السلام المسـدي – جمال الدين بن شيخ – صلاح فضل- عبد الله الغذامي- فـؤاد زكريـا – سمير مرزوقي وغيرهم ...)، ويعد كمال أبو ديب من كبار نقـاد البنيويـة وما بعدها ، عمل جهـدًا تحليليـا كبـيرًا في الشـعر الجـاهلي من جـانب، ونصوص الحداثة من جانب آخر.

6- ما يعاب على البنيوية:

- أطلق البنيويون شعارا فهمه الناس حرفيا وعدوه نقطـة سـلبية على البنيوية وهو " موت الؤلف" ولكن هـذا الشـعار عنـد البـنيويين كنايـة بلاغيــة عن إســتراتجيتهم الجديــدة وهي أن لا تصــبح كــل البيانــات المتعلقة بالمؤلف جوهر العمل الأدبي والدراسة النقدية .
- التركيز على النص في حد ذاته وإهمال العوامـل الخارجيـة الـتي قـد تسـاهم في خدمـة النص الأدبي، وبتـالي تهـدف إلى محاولـة خلـع الأعمال الأدبية من جذورها وقتلها، وهذا غير صحيح فلا يوجد ناقـد أو مبدع يحـترم طبيعـة عملـه أن يأخـذ في اعتبـاره مختلـف السـياقات الخارجيـة للنص، لكنـه يصـبح مطالبًـا بعـدم الإسـراف في الاعتمـاد عليها، فيوظف السياق لخدمة النص لا النص في خدمة السياق.
- شكلت العلامات والرموز الرياضية نقطـة هامـة في البحث البـنيوي وهذا ما أضفى صيغة العلمية على العمل الأدبي، وقد وجد هذا الرأي رد فعل مضاد من قبل القراء الذين لم يعتادوا الرموز والعلامات من ناحيـة ، ولا فهم طـرق الاسترسـال في التحليـل اللغـوي من ناحيـة أخرى.
- نجد أيضًـا في بعض الدراسـات البنيويـة بعض التحاليـل الـتي تتنـاول الجزئيات الصغيرة وتضخمها بطريقـة لا تسـمح لنـا باسـتيعاب البـنى الكبرى ؛ أي إدراج بنى صـغرى في بـنى كـبرى، وبهـذا تضـيع الرؤيـا الشاملة.

ولكن يبقى للبنيوية أهمية كبيرة لا يمكن تجاهلها إذ كانت وليدة الفكر اللساني الذي يعد نقلة نوعية كبيرة في اللغويات العالمية.

المراجع:

- من كتاب صلاح فضل، مناهج النقد الأدبي، ميريت للنشــر والمعلومات مصر، 2002م.
- ينظر أيضا:
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د صلاح فضل
- مشكلةالبنية : د. زكريا إبراهيم.
- عصر البنيوية: ترجمة د. جابر عصفور
- البنيوية وما بعدها: ترجمة : محمد عصفور.
- بنية لغة الشعر: ترجمة د. أحمد درويش.
- التحليل البنيوي للقصة.